مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: المكان في شعر شعراء طبقة الإسلاميين السادسة من طبقات ابن سلام الجمحي
اسم الكاتب: د. هبة عبد الوهاب عقيل
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2813
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 11:58 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تـالمكان في شعر شعراء طبـقة الإسلاميين السادسة من طبـقات ابـن سلّام الجُمَحي

د. هبة عبد الوهاب عقيل*

الملخص

يرمي هذا البحث إلى دراسة المكان بمظاهره وأبعاده المتنوعة، في شعر فئة محددة من شعراء العصر الأموي، أعني شعراء الطبقة السادسة من طبقات الإسلاميين عند ابن سلّام الجُمَحي، وشعراء هذه الطبقة هم: عُبيد الله بن قيس الرُقَيّات، والأَحْوَص، وجَميل بن مَعْمَر، ونُصَيب[1].

ونصّ ابن سلّام على أن الرابط الذي يجمع شعراء هذه الطبقة رابط مكاني، قائلًا: "الطبقة السادسة من الإسلاميين، حجازيّة"[2]، وذلك لأنَّه وجد أن الرابط المكاني المذكور يشكّل –من جهة– صلة وثيقة بين المُنتَمين إلى مكان واحد، ولما كان يدركه –من جهة أخرى– من أثر للمكان في شعر أهله، ولعل هذا ما أراد أن يبيّنه عندما عمد إلى تصنيف بعض الطبقات وفقًا لاشتراك أصحابها في الانتماء إلى مكان واحد، أو بيئة محددة. (طبقة أهل القُرى مثلًا)

والغاية من البحث: الكشف عن تجليات المكان في شعر شعراء الطبقة السادسة، في المستويات المتعددة؛ الفنية والنفسية والواقعية، من خلال الحديث عن نمطين من الأمكنة، هما: نمط الأمكنة الأليفة، ونمط الأمكنة غير الأليفة، أو المعادية، ومحاولة استخلاص السمات المشتركة التي تسم تناول المكان في شعر شعراء هذه الطبقة، ثم إبراز الملامح التي تفرّد بها تناول المكان في شعر كل منهم، وما يكمن وراء ذلك من أسباب.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.

[1]– تراجم الشعراء في طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي؛ عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 647/2؛ الأحوص: ص: 655/2؛ جميل بن معمر: ص: 669/2؛ نصيب: ص: 675/2.

[2]– طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، ص: 647/2.

Space and Place in the Poetry of the Sixth Islamic Class Poets of Ibn Sallam Al Jumahee's Classes

Dr. Heba Abd Al Wahhab Akil**

Abstract

The aim of this research is to study place and all its aspects and dimensions in the poetry of a specific category of the poets of the Umayyad Era, the poetry of the sixth class of the Islamic poets presented by Ibn Sallam Al Jumahee. The poets in this class include Obaid Allah bin Qais Alruqayyat, Al Ahwas, Jameel bin Ma'amar, and Nusaib.

Ibn Sallam stated clearly that the link which connects the poets of this class is a place link. According to him, "the sixth class of Islamic poets is Hijazi." He had found out that the mentioned place link is a close connection among the people of one location. On the other hand, he had recognized the effect place has on the poetry of its people. This was perhaps what he wanted to show when he classified some classes according to those who belong to the same place or same environment (the class of Ahl Al Qura, i.e poets of Arab cities).

The aim of the research is to reveal how place was manifested in the poetry of the sixth Islamic class on different levels: technical, psychological, and realistic levels. This is done by discussing two types of place: the friendly place, and the unfriendly or the hostile place. The research is also an attempt to find out the common features that characterize the way place is tackled in the poetry of this class of poets. Then the distinctive features of the poetry of each of these poets concerning the way they approach place are described, with explanation of the causes of each poet's distinction.

** Damascus University, Faculty of Letters and Humanities, Department of Arabic language and literature

لا بدَّ قبل الشروع في استجلاء تجليات المكان في شعر شعراء طبقة الإسلاميين السادسة من الوقوف عند تعريف المكان في اللغة والفلسفة، ومفهومه في الأدب، حتى يسهل اكتناه أبعاده في البحث، وإذا كانت كتب وبحوث كثيرة اهتمت بالمكان، وكتب أصحابها معرّفين بالمكان في بحوثهم ودراساتهم، فإني لا أجد غضاضة من الإشارة إلى بعض تلك التعريفات، ليكون تعريف المكان ركيزة أنطلق منها إلى دراسة أبعاد المكان في شعر فئة محددة من الشعراء خصصتها بهذا البحث.

المكان في اللغة:

المكان: الموضع، والجمع أَمْكِنة وأَمَاكِن، والمكان اشتقاقه من كان يكون، ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأَنها أَصلية[1]. والمكان: الموضع الحاوي للشيء[2].

وجاء في الكليّات: "المكان، لغة: الحاوي للشيء المستقر، كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه وإضجاعه، وهو (فَعال) من التَّمَكُّن لا (مَفعل) من الكون، كالمقال من القَوْل، لأنهم قالوا في جمعه: (أمكن) و(أمكنة) و(أماكن) وقالوا: تمكن."[3]

المكان في الفلسفة:

حظي المكان قديمًا بعناية فلاسفة اليونان والفلاسفة العرب والمسلمين، كما حظي بعناية الفلاسفة المحدثين، فقيل فيه كلام كثير، لن أقف عنده بالتفصيل[4]، وأكتفي بتعريف واضح وجامع للمكان، بأنه: "وسط غير محدود، يشتمل على الأشياء، وهو متّصل ومتجانس لا تمييز بين أجزائه، وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع، ويمكن بناء أشكال متشابهة فيه،...، وهو بهذا تصور عقلي محيط بجميع الأجسام."[5]

---

[1]– لسان العرب: (مكن).

[2]– تاج العروس: (مكن).

[3]– الكليات: الكفوي، ص: 826.

[4]– ينظر للاستزادة:

. تاريخ الفكر الفلسفي؛ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون: د. محمد علي أبو ريان، جـ1.

. التعريفات: الجرجاني، ص: 227.

. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): الكفوي، ص: 826.

. موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، جـ1.

. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي، ص: 1634/2.

[5]– المعجم الفلسفي: ص: 191.

المكان في الأدب:

يمثّل المكان عنصرًا أساسيًا من عناصر الأدب، فما من عمل أدبي لا يتناول الإنسان، ولا ينطوي على قيمة تتصل بالإنسان، ولا وجود للإنسان إلا ضمن المكان، وما من عمل أدبي يخلو من الحدث، والحدث يحدث في المكان، ثمّ إن المبدع، سواء أكان شاعرًا أم ناثرًا، يعيش في المكان، فيتأثّر به ويؤثّر فيه، وتظهر تلك التأثيرات في نفسه، وتتجلى في عمله من غير شك.

وقد تتفاوت قيمة المكان من عمل أدبي إلى آخر، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة المكان في العمل على أي حال، ويبقى المكان في الأدب عنصرًا أثيرًا "لأنه منبثق من الوجدان، ويثير في النفس ذكريات الأهل والأحبة، ويبعث في الذات الأمل بعدما غمرها اليأس والحرمان."[1]

المكان في شعر شعراء طبقة الإسلاميين السادسة:

يبدو تصنيف أنواع الأماكن في الشعر العربي أمرًا بالغ التعقيد والصعوبة، لما يتضمنه الشعر من مفردات وأسماء تتجاوز دلالاتها معانيها الحقيقية، لتدلَّ على أمكنة ذهنية أو متخيَّلة يرمي إليها الشاعر.

ولما كان المكان في الشعر يتصل بصاحبه بعلاقات متشعبة ومتعددة، فقد آثرت أن أقتصر على دراسة وجهين بارزين مشتركَين من وجوه تجلّي المكان في شعر شعراء طبقة الإسلاميين السادسة، هما: الوجه الإيجابي الذي يتجلى في المكان الأليف (الطلل، المكان المقدس، الوطن)، والوجه السلبي الذي يتجلى في المكان المعادي (القبر، مكان الاغتراب، أرض العدو).[2]

أ- المكان الأليف:

بيّن باشلار أن المكان الأليف هو المكان الذي نحب، وهو مكان ممتَدح لأسباب متعددة، ومرتبط بقيمة إيجابية هي قيمة الحماية التي يمتلكها المكان[3]، قال: "إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانًا لا مباليًا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من

---

[1]- المكان في شعر ابن زيدون: ساهرة عليوي حسين العامري، ص: 15.

[2]- استُمِدَّت تسميتا (المكان الأليف والمكان المعادي) من كتاب: جماليات المكان لغاستون باشلار، ص: 6-7.

[3]- جماليات المكان: باشلار، ص: 31.

تحيّز، إنَّنا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية."[1] ويرتبط المكان الأليف" بالدفء والألفة والحماية حيث يتم تعارف الناس فيه."[2]

ويشغل المكان حيزًا واضحًا في نفوس الشعراء العرب، وفي شعرهم، تبعًا لذلك، ولا شك في أن المكان لا يظهر في الشعر العربي بصورته الواقعية، أعني تلك الصورة التي تلتقطها العين وحسب، ولكنه يتمثّل في الشعر بعد أن يخضع عند الشاعر لمعالجة ذهنية نفسية، فتمتزج الصورة الواقعية المرتبطة مع التجربة الحقيقية للشاعر في المكان، مع التجربة المختزنة في الذاكرة، وينتج عن هذا الامتزاج مكان جديد، تربطه بالشاعر علاقة تتجاوز العلاقة المألوفة، إلى علاقة قائمة على المحاورة والخطاب.[3]

ويبرز المكان الأليف في شعراء الطبقة الحجازية المدروسة متمثلًا في الطلل، والمكان المقدّس، والوطن، وسأفصّل القول في هذه الأماكن فيما يأتي.

الطلل:

إن العلاقة بين الشاعر والمكان/الطلل علاقة وطيدة راسخة، فالشاعر يختزن المكان في ذاكرته، ويحنّ إليه إن غاب عنه، ويظل يردد اسمه في شعره متغنيًا به، وبما كان له فيه من ذكريات، وشعر الوقوف على الأطلال شعر مثقل بالذكريات، ويكتسب جمالًا خاصًا من العناصر الثلاثة التي تكونه، وهي: عنصر الماضي، وعنصر الاندثار والخراب، وعنصر الذكرى.[4]

ومن هنا فإن "العلاقة بين الشعر والمكان علاقة عميقة الجذور، متشعبة الأبعاد، ومن خلالها قد يصب الشاعر على مكان ما طابعًا خاصًّا، فيحوله من مسكن خرب إلى طلل مثير، ومن حجر أصمّ، إلى شاهد على لحظات مجد أو وجد."[5]

يبدو الطلل في شعر شعراء طبقة الإسلاميين السادسة بصورته التقليدية المألوفة، بما تتضمنه هذه الصور من ملامح متنوعة، حرص الشعراء منذ الجاهلية على الإبداع في رسمها، وتابع كثير من شعراء العصر الأموي ما أسسه الشعراء السابقون، وإن كنا لا نعدم وجود بعض الاختلافات التي تميّز كلًا منهم.

---

[1]– المرجع السابق: ص: 31.

[2]– مشكلة المكان الفني: لوتمان، ضمن (جماليات المكان/ جماعة)، ص: 65.

[3]– ينظر: المكان في الشعر الجاهلي: عابد أمل مفرج، ص: 147.

[4]– ينظر: شعر الوقوف على الأطلال: د.عزة حسن، ص: 109–115.

[5]– في نقد الشعر (الكلمة والمجهر): أحمد درويش، ص: 84.

وإذا كان الطلل يرتبط في نفس الشاعر بالذكريات، فمن المتوقّع أن يعبّر في شعره عما يهيج في نفسه الحنين إلى أيام مضت، واسترجاع لذكريات لها في القلب جذوة متوقّدة، يهدأ لهيبها حينًا، ويتأجج كلما مرّ الشاعر بالأطلال، أو كلّما ذكرها في خاطره، فالأطلال تحمل قيمًا نفسية واجتماعية وجمالية[1]، لاتصالها الوثيق بالنفس البشرية من جهة، واتصالها الأوثق بالذات المتفاعلة مع محيطها من جهة ثانية، ولما في استعادة التجربة الاجتماعية في الأطلال من خلق لمستويات جمالية على المستوى الشعري من جهة ثالثة. قال جميل:

إنّ المنـــازلَ هَيّجَـــتْ أطرابـــي ... واســـتعجَمَتْ آياتُهـــا بجـــوابي
قفـــرًا تلـــوحُ بـــذي اللجـــينِ كأنّهـــا ... أنضـــاءُ وشـــمٍ أو ســـطورُ كتـــابِ
لمّـــا وقفْـــتُ بهـــا القَلـــوصَ تبـــادرَتْ ... منّـــي الـــدموعُ لفُرقـــةِ الأحبـــابِ
وذكـــرتُ عصـــرًا يـــا بثينـــةُ شـــاقَني ... إذ فـــاتَني وذكـــرْتُ شَـــرْخَ شـــبابي[2]

إن وعي الشاعر بالمكان لا يبدو منفصلًا عن وعيه بالزمان، فالحنين في الأبيات حنين ارتدادي، يحنّ فيه الشاعر إلى مكان محدد في زمان محدد[3]، وجميل يحن إلى أطلال منازل جمعته ذات يوم من أيام شبابه ببثينة التي يهوى، ويحاول الشاعر أن يستحضر صورة الأطلال فيحدد مكانها بدقّة، ويشبهها –على عادة القدماء– بالوشم الذي امّحى وزال أثره، أو بسطور الكتاب، ويصف استعجامها وعجزها عن إجابة العاشق المحزون، هو بذلك لا يخالف سنة الشعراء من قبله، لكنه يضفي على أبياته شيئًا من روحه، فيناجي نفسه في حديث داخلي مشحون بالشجن، ويتحكم ضمير المتكلم بموسيقاه الخارجية من البيت الأول.

---

[1]– جماليات المكان (آليات التبدي المكاني في الشعر): د. سعد الدين كليب، www.startimes.com

[2]– ديوان جميل: ص: 32. الأطراب: ج طرب: وهو الشوق، استعجمت: سكتت وعجزت عن الكلام، آياتها: علاماتها، ذو اللجين: موضع، الأنضاء: ج نضو وأصله البعير المهزول، وأطلق هنا على ما تبقّى من الوشم لقلّته وامّحائه، القلوص: الناقة الشابة، شرخ الشباب: أوله ونضارته وقوته.

[3]– جماليات المكان (آليات التبدي المكاني في الشعر): د. سعد الدين كليب، www.startimes.com

وها هو ذا الأحوص يناجي ذاته مسترجعًا في أثناء وقوفه على الأطلال ما كان له من ذكريات في (الحيّ والدُّور) التي جمعته في الزمن الجميل بالحسناوات:

هـل هيَّجتْـكَ مَغَـاني الحـيِّ والـدُّورُ فاشـتقْتَ إنَّ البعيـدَ الـدارِ معـذورُ
وقـد يَحُـلُّ بهـا إذْ عيشُـنا أَنَـقٌ بِـيضٌ أوانِـسُ أمثـالُ الـدُّمى حُـورُ[1]

ومن البيّن أن شعر الوقوف على الأطلال عند العرب "مثقل بالذكريات، وفيه دومًا صلة تشدّ الشاعر إلى ماضٍ حبيب إليه، عزيز عليه، فيقف ليبكيه ويقضي حقّه عنده."[2]

ولا يتردد الشعراء في الدعاء لآثار الديار بالسقيا، وفي هذا الدعاء ما فيه من استمطار الرحمة والشعور ببعث الحياة في الديار، وهذا أمر يداعب آمال الشاعر باستعادة أيامه وذكرياته الطيبة في هذا المكان بعينه، قال جميل:

سـقى منزلَيْنـا يـا بثـينَ بحـاجِرٍ علـى الهجـرِ منّـا صَـيِّفٌ وربيـعُ[3]

وقال الرقيات:

يـا ديـارَ الكواعـبِ بـين صَـنعا فَمـارِبِ
جـادَكِ السَـعْدُ غُـدوةً والثُّرَيّـا بصـائِبِ[4]

وقال الأحوص:

وأنّـى مـن ديـارِكَ أمُّ حَفْـصٍ سـقى بلـدًا تَحُـلُّ بـهِ الغَمـامُ[5]

---

[1]– ديوان الأحوص: ص: 161. المغاني: ج مغنى وهو المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا، الأنق: الفرح والسرور، الأوانس: ج آنسة وهي الجارية الطيبة النفس أو الحديث، الحُور: ج حوراء وهي الجارية البيّنة الحَوَر، والحَوَر أن يشتد بياضُ بياضِ العين وسواد سوادها.

[2]– شعر الوقوف على الأطلال: د. عزة حسن، ص: 115.

[3]– ديوان جميل: ص: 121. حاجر: موضع، الصيّف: مطر الصيف، الربيع: مطر الربيع.

[4]– ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 28. مارب: مخفف مأرب، جاد: سقى، الغدوة: البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.

[5]– ديوان الأحوص: ص: 237.

وقال نصيب:

سقى اللهُ صوبَ المُزنِ أرضًا عمرتِها برَيّ وأسقاها بلادَ بَني نَصْرِ[1]

وعلى ما بين الشعراء من اختلاف في أسلوب الدعاء، فإن غاية الدعاء المتمثلة في إعادة صور الحياة إلى أطلال ديار الحبيبة تشكّل العنصر المشترك بين أبياتهم تلك.

"إننا نشعر حين نقرأ شعر الوقوف على الأطلال بجمال خاصّ يحققه هذا الشعر، وهذا الجمال يخلق في نفوسنا شعورًا خاصًا، يتصف دومًا بالكآبة والأسى."[2]

ولمّا كان الوقوف على الأطلال من مثيرات الحزن والأسى في نفوس الشعراء، فإن هؤلاء الشعراء كثيرًا ما كانوا يصرحون بأن محبتهم للديار وأطلالها نابعة من محبتهم لأهلها الذين أقاموا فيها زمنًا قضوا فيه جميعًا أوقاتًا من سعادة وهناءة عيش، ثم فارقوها تاركين لأحبتهم الشوق والذكريات. ويتفاوت الشعراء في موقفهم من الأطلال، فمنهم من يقف عليها متعجلًا، فإذا ما شعر بأن قلبه يكاد يتفطّر حزنًا، مضى مبتعدًا، وفضّل الانصراف عن مشهد الأطلال، محتفظًا لنفسه بجوى الشوق، متعلقًا بالبيت المهجور، بكل ما في نفسه من حب، قال جميل:

أَتَصرمُ هذا الربْعَ أم أنتَ زائِرُهْ وكيفَ يُزارُ الربْعُ قد بانَ عامِرُهْ؟

رأيتُكَ تأتي البيتَ تُبْغِضُ أهلَهُ وقلبُكَ في البيتِ الذي أنتَ هاجِرُهْ[3]

إنه لا يهجر البيت الذي يحبّ إلَّا لأنَّ أهله قد فارقوه، فما الذي يحمله على الزيارة، وما من حبيب ترتجى رؤيته هناك؟!

ومنهم من لا يجد بأسًا في أن يمر بالديار، على غير رغبة فيها، ولكن الأمل في لقاء الحبيبة يدفعه إلى ذلك المكان، قال ابن قيس الرقيات:

ودَخلْنا الديارَ ما نَشتهيها طمعًا في أنْ ننالَها أو تَرانا[4]

---

[1]- شعر نصيب: ص: 96. المزن: ج مزنة وهي المطرة والسحابة البيضاء.

[2]- شعر الوقوف على الأطلال: د. عزة حسن، ص: 109.

[3]- ديوان جميل: ص: 100. بان: ابتعد، عامره: آهله.

[4]- ديوان ابن قيس الرقيات: ص: 157.

وأكثر الأحوص من ذكر محبة البيت لمحبة أهله، والوقوف على الديار لتذكر أصحابها، قال:

قُلْنا لمنزلِها حُيِّيْتَ من طَلَلٍ وللعقيقِ: ألا حُيِّيْتَ من وادي[1]

إنه يلقي التحية على الطلل – على عادة الشعراء – وهو على يقين من أن الطلل لن يجيب، ولكنه يفعل ليخفف عن نفسه بعض ما فيها من أشواق، وهو بذلك إنما يفرّغ شحنات عاطفية كبيرة يجيش بها صدره، ويستشعر راحة عندما يلقي التحية على دار الحبيبة، وهو يقصد صاحبة الدار. ويقول في موضع آخر، داعيًا للمنازل دعاء جميلًا بالسلامة، مبينًا أن ما به من محبة الديار والتعلق بها سببه ما تهيجه في نفسه من ذكريات الحب والحبيبة:

أمنزلَتَيْ مَيٍّ على القِدَمِ اسلَما لقد هِجْتُما للشوقِ قلبًا مُتيَّما
وذَكَّرْتُما عصرَ الشبابِ الذي مضى وجِدَّةَ حبلٍ وصلُهُ قد تَجَذَّما
أحبّ دُنُوَّ الدارِ منها وقد أَبى بها صَدْعُ شَعْبِ الدارِ أن تَتَيَمّما[2]

ولا يخالف نصيب سنة الشعراء، ويوافق شعراء طبقته، فيقول:

أَمَا والذي حَجَّ المُلبّونَ بيتَهُ وعلَّمَ أيامَ الذبائحِ والنَّحرِ
لقد زادَني للغَمْرِ حبًا وأهلِهِ ليالٍ أقامَتْهُنَّ ليلى على الغَمْرِ[3]

إنه يؤكد محبته المكان لمحبته أهله مقسمًا بأغلظ الأيمان، مستندًا في قسمه هذا إلى أسس إسلامية راسخة، وما تلك الأيمان التي يقسم بها إلا تأكيد لشغفه بالمكان لأنه – بنظره – قد اكتسب صفة مقدسة من إقامة المحبوبة فيه لياليَ، وفي هذه الفسحة الزمنية المفتوحة أفق واسع من الانتظار المقترن بالسرور في تلك الليالي الفائتة، وممتزج بالحسرة والشوق في حاضر الذكرى والبعد.

[1]– ديوان الأحوص: ص: 139. العقيق: وادٍ.
[2]– المصدر السابق: ص: 245–246. تجذّم: تقطّع، الشعب: الافتراق.
[3]– شعر نصيب: ص: 94. الملبّون: الحجّاج عند التلبية، الغمر: اسم وادٍ في نجد.

إنّ اللوحات الطللية التي تقدّم الحديث عنها عبّرت عن "استنطاق للمكان وأنسنة للطلل، [وفيها] إيقاع حركي وبصري وتأملي باستنكار الغياب وضياع الشاعر النفسي لفقدانه حياة المكان."[1] وحاول الشعراء تعويض الغياب والفقد باختزان صورة الطلل في الذاكرة، ومزج تلك الصورة بالحنين والشوق، لتغدو صورة الطلل صورة جديدة، صورة حيّة ناطقة.

المكان المقدّس:

اقترن ذكر الحبيبة في شعر هؤلاء الشعراء بذكر الأماكن المقدسة المرتبطة ببعض شعائر الإسلام، وفي هذا الأمر ما يضفي إطارًا من التقديس على علاقة الشاعر بمن يحب، ويجعل لهذه الأماكن المقدسة مكانة متميزة في نفس الشاعر، لأنه وافى فيها أحبته، فتضاعفت محبتها وأهميتها في قلبه. قال جميل:

وبين الصّفا والمروتَيْن ذكرتُكُم ... بمختلفٍ من بين ساعٍ ومُوجِفُ
وعند طَوافي قد ذكرتُكِ ذكرةً ... هيَ الموتُ بل كادَتْ على الموتِ تضعُفُ[2]

إن الشاعر يذهل عن كل ما حوله في الأراضي المقدسة، مع أدائه ما ينبغي له أن يؤديه في هذه الأماكن، ممَّا يفعله المسلمون، ولا يشعر إلا برابطة الذكريات تشده إلى حبيبته، فتكاد نفسه تزهق لذكراها، ويزداد قلبه تعلقًا بهذه الأماكن، لا لأهميتها الدينية وحسب، بل لأهميتها العاطفية في قلبه ونفسه.

ويصرّح ابن قيس الرقيات بأنه يقصد إلى الحج ليلقى (الثريّا) الحبيبة، قائلًا:

حبّذا الحجُّ والثُّريّا ومَنْ بالـ ... ـخَيْفِ من أجلِها ومُلْقِي الرِّحالِ[3]

بل إنه –كما يقول– يحب كل من بالخيف من أرض منى لأن هؤلاء يجاورون الحبيبة، ويذكر نصيب في شعره الأراضي المقدسة، وتقترن هذه الأماكن عنده بذكر الأحبة، فمن ذلك قوله:

---

[1] – المكان في ذاكرة الشاعر الجاهلي: كاتب أمين، شبكة الألوكة، www.alukah.net

[2] – ديوان جميل: ص: 131. الصفا والمروة: من مشاعر مكة وهما جبلا المسعى وإليهما ينتهي سعي الحجاج، الموجف: المهرول المسرع، الطواف: طواف الحجاج حول الكعبة، تضعف: تكثر وتزيد. قال محقق الديوان: "وأراد جامع الديوان [يطرس البستاني] أن يتجنّب الضرورة الواضحة في الشطر الثاني من البيت [الأول] فغيّره إلى: "... بمختلف والناسُ ساعٍ وموجفُ".

[3] – ديوان ابن قيس الرقيات: ص: 112. الخيف: ناحية من مِنى، ملقو الرحال: الحجيج الذين يلقون رحالهم بالخيف.

طلعْـنَ علينـا بـين مـروةَ والصّـفا يَمُـرْنَ علـى البطحـاءِ مَـوْرَ السـحائبِ
وكِـدْنَ لَعَمْـرُ اللهِ يُحْـدثْنَ فتنـةً لمُختشِـعٍ مـن خشـيةِ اللهِ تايِـبِ[1]

إن هذه الأماكن تقترن في شعر نصيب بالنساء الحسان، ونجده يهتم بتصوير حركتهن في إقبالهن على هذه الأماكن، فإذا به ينتقي صورة من أجمل صور الطبيعة، هي صورة السحائب المتهادية، ولا يغفل عن تصوير التأثير النفسي لمرورهن، فهو يخشى فتنتهن على كل متبتل عابد ناسك.

إن المكانة الأثيرة التي حظيت بها الأماكن المقدّسة في شعر شعراء الطبقة الحجازية كانت نتاج تآلف وتواشج بين أمور عدّة، هي: المنزلة الدينية التي تتمتع تلك الأماكن بها، وموضعها في الحيّز الجغرافي الذي ألفه الشعراء ونشؤوا ودرجوا فيه، بوصفه موطنهم ومهوى أفئدتهم، واجتماعهم بالأحبّة في تلك الأماكن، بحكم الحياة فيه من جهة، واللقاء في أثناء أداء المناسك المقدّسة من جهة أخرى، فارتقت تلك الأماكن في نفوسهم واكتسبت منزلة لا تضاهى، وصارت الذكريات التي ترد منها على خواطر الشعراء عابقة بنشوة الحب والحنين والرجاء والطاعة.

وجاء التعبير عن هذه الأمور متشابهًا بين الشعراء إلى حدّ بعيد، لتشابه الأسس التي بني عليها، مع ملاحظة ما تبيّن في شعر بعضهم – وأعني ابن قيس الرقيّات على وجه التحديد – من اتخاذ ذكر الأماكن المقدّسة وسيلة فنية غايتها شدّ الانتباه، وليس هذا الأمر بدعًا، وإن النظر في ديوان عمر بن أبي ربيعة يبيّن أنه كان قد اصطنع هذه الوسيلة الفنية في مواضع عدّة من شعره.

الوطن:

يعدّ ارتباط النفس الإنسانية بالمكان ارتباطًا جوهريًا، ليس للمرء انفكاك منه، وهو ارتباط نفسي، في المقام الأول، يدلّ على توق النفس وحنينها إلى المكان الذي ألفته ثمّ تركته، فكيف بحال المرء إذا كان ذاك المكان يحتضن ذكرياته، وفيه مراتع شبابه وصباه، ومرابع أهله وأحبابه! إنه الوطن، المكان الذي يؤمن للمرء الراحة والعيش[2]، والمكان الذي تتأصّل

[1]– شعر نصيب: ص: 71. يمرن: يتحركن ويمشين، البطحاء: الأرض المنبسطة، لعمر الله: أي أحلف ببقاء الله ودوامه.
[2]– الوطن في الشعر العربي: د. وهيب طنوس، ص: 203.

فيه هويته، ويضرب فيه بجذوره[1]، وهو ما عبّر عنه جميل بن معمر تعبيرًا مباشرًا، فقال يذكر انتماءه إلى أرض الحجاز، مصرّحًا بكلمة (وطني) بعد ضمير المتكلم البارز الصريح (أنا)، ومبيّنًا ما يشدّه إلى هذا الوطن من روابط الهوى والحنين:

أنـــا جميـــلٌ والحجـــازُ وَطَنـــي
فيـــهِ هَـــوى نَفســـي وفيـــهِ شَـــجَني
هـــذا إذا كـــانَ الســـباقُ دَيْـــدَني[2]

وبدا الشعور بالانتماء إلى المكان/الوطن بمفهومه الحضاري الشامل[3] على نحو واضح لافت للانتباه في شعر ابن قيس الرقيات، الذي نشأ في الحجاز نشأة لاهية مترفة، وأحبّ موطنه وتعلّق به تعلّقًا كبيرًا، وكان لا يفتأ يذكر مرابعه ويتغنى بها في شعره، ولكنه فارقه، ثمّ أتته على البعد أنباء مقتل قومه وما حلّ بهم في وقعة الحرّة[4]، فثارت في نفسه كوامن الذكريات، ومضى يبكي بلاده ويعدد أسماء مواضعها بحسرة وأسى. قال في أشهر قصائده:

أقفَـرَتْ بعـد عبـدِ شـمسٍ كَـدَاءُ ... فَكُـــدَيٌّ فـــالرُّكنُ فالبَطْحـــاءُ
فمِنَـى فالجمـارُ مـن عبـدِ شـمسٍ ... مُقفـــراتٌ فبَلْـــدَحٌ فحِـــراءُ
فالخِيـــامُ التـــي بعُســـفانَ فالجُحْـــ ... ـــفَةُ مـــنهم فالقـــاعُ فـــالأبواءُ
موحِشـــاتٌ إلـــى تَعَـــاهِنَ فالسُّقْـــ ... ـيا قِفـارٌ مـن عبـدِ شـمسٍ خَـلاءُ[5]

[1] مشكلة المكان الفني: لوتمان، ضمن (جماليات المكان/ جماعة)، ص: 65.
[2] ديوان جميل: ص: 204. ديدني: دأبي وعادتي.
[3] ينظر: الوطن في الشعر العربي: د. وهيب طنوس، ص: 192- 193.
[4] ينظر: تاريخ الطبري: أحداث سنة ثلاث وستين، ص: 482/5 وما بعدها.
[5] ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 87-88. كداء: جبل بمكة، وهو عرفة، كديّ: جبل قريب منه، الركن: هو الركن اليماني ركن البيت الحرام، البطحاء: بطحاء مكة، منى: جبل بمكة، وهو من مواقف الحج، الجمار: ج جمرة وهي موضع رمي الحجار، بلدح: واد في الطريق إلى مكة، حراء: جبل بمكة، عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، الجحفة: قرية على طريق المدينة إلى مكة، القاع: منزل الحج بطريق مكة، الأبواء: قرية أو جبل بين المدينة ومكة، تعاهن: عين ماء بين المدينة ومكة.

إن هذا اللهج بذكر الأماكن التي أقام فيها الشاعر مع قومه في أيام خلت، وتتابع ذكر الأماكن في البيت الواحد، أو الأبيات القليلة، مع تنوعها، يعدّ من أبرز الأساليب التي تابع فيها ابن قيس من سبقه من الشعراء في إبراز صورة المكان. ولم تكن تلك الأماكن عند ابن قيس أسماء يذكرها ويعددها وحسب، ولكنها أماكن تربطه بها روابط عميقة من انتماء وحنين، ومن حزن وأسى لما حلّ بها من خراب بعد موقعة الحرّة. وجاء ذكر الأماكن على ذلك النحو المتتابع تنفيسًا عما تجيش به نفس الشاعر من آلام وأحزان وأشواق، ومعلوم أن الإنسان يروّح عن نفسه همومها ويسليها عما تشعر به من فقد أو حزن بذكر من تهوى وما تهوى.

ويقترن مفهوم الوطن في شعر ابن قيس الرقيات بالذكريات الجميلة التي كانت له فيه، يقول معبّرًا عما في ذاته من حسرة وأسى:

يـــا حبّـــذا يثـــربٌ ولـــذّتُها مـــن قبـــلِ أن يهلِكـــوا ويَحترِبـــوا
وقبـــلَ أن يَخـــرُجَ الـــذين لهُـــم فيهـــا الســـناءُ العظـــيمُ والحَسَـــبُ[1]

إن المكان المذكور في هذين البيتين (يثرب) ليس مكانًا عاديًا، ولا يشبه غيره من الأماكن، فهو مكان يمتاز بمنزلة (سياسية) رفيعة، لا تضاهيه فيها أماكن أخرى. فيثرب كانت حاضرة الخلافة الإسلامية، ورمز السيادة القرشية على الحجاز وعلى الدولة العربية الإسلامية في أيام مضت، لكن تلك المدينة فقدت مكانتها بعد أن نقل بنو أمية حاضرة خلافتهم إلى دمشق، وتحولت يثرب إلى أرض احتراب وصراع بين أهلها من القرشيين، وأصحاب السلطة الجديدة من أقربائهم الأمويين، ويثير هذا الصراع في نفس الشاعر حسرات، ويثقل ذاته بهموم وأشجان، لأنه يرى أبناء قومه من قريش، أهل السيادة والعزّ المتوارث والحسب الرفيع، يصطرعون على الحكم، فيقتل بعضهم بعضًا، ويتفرّق شملهم وتتكسر شوكتهم، ولا ينتصر المنتصر منهم إلا بعد أن يريق دماء أبناء قومه.

ولا تنفصل الذكريات الجميلة عند ابن قيس الرقيات عن ذكر المكان، ولا تنفصل –في الوقت ذاته– عن ذكر الأهل والأحبة الذين قاسموه العيش في المكان، وقاسمهم الفخر بالسيادة والشرف، والشعور بالمحبة والألفة، قبل أن تفرقهم عوادي الدهر وتشتّت شملهم، ويتكرر هذا المشهد في مواضع عدّة من شعره، وما ذاك إلا لما كان يشعر به من غصّة وألم

[1]– ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 4. احترب القوم: أوقدوا نار الحرب، أي قبل أن يحترب الزبيريون والأمويون.

لما حلّ بقومه من تفرق بعد عزّ، ومن مغادرة لموطنه الذي يمثّل مهوى فؤاده وغاية أمله. ونجده يزفر زفرات ملؤها الحسرة كلّما مرّ بخاطره ذكر موطنه، ونجد أن ذكر المكان/الوطن عنده يقترن بالأحاسيس الجياشة التي يعبّر عنها بصور أهمّها البرق الذي يلوح سناه من جهة الحجاز، ومن جهة الحرّة التي شهدت مأساة قومه على وجه التحديد، وما تلا التماع سناه من أمطار سقت تلك الأرض الطيبة المقدسة التي كانت أرضه وأرض عشيرته، قال:

يـا مَـن يـرَى البـرقَ بالحجـازِ كمـا ... أقـبسَ أيـدي الولائـدِ الضَّـرَما
لاحَ سَـناهُ مـن نخـلِ يثـربَ فالـ ... ـحرَّةِ حتّـى أَضَـا لنـا إضَـما
أسـقَى بـهِ اللهُ بطـنَ طَيْبَـةَ فالـ ... ـرَّوْحاءَ فالأَخْشَـبَيْنِ فالحَرَمـا
أرضٌ بهـا تَنبُـتُ العشـيرةُ قـد ... عِشـنا وكنَّـا مـن أهلِهـا عَلَمـا[1]

وما من شكّ في أن احتواء أرض الحجاز، موطن الشاعر، الأماكن الإسلامية المقدسة جعل تعلّق الشاعر بالمكان يزداد قوة، وشعوره بفخر الانتماء إليه يزداد في نفسه رسوخًا، ويزيده تيهًا بذاك الانتماء وعجبًا، حتى إنّه لم يكن يغفل عن الإشارة إلى قدسية ذلك المكان كلّما سنحت له فرصة، ووظف ذلك في فخره بنفسه وقومه، كما تبيّن، ووظفه في مدحه أيضًا، فقد مدح عبد الله بن الزبير، ملحًّا على قيمة النسب الشريف، ومعيدًا ذلك الشرف إلى انتماء الممدوح وقومه إلى الأماكن المقدسة التي ينتمي إليها الشاعر نفسه، ومكثرًا من ذكر الأماكن التي كان لها في مسار الدعوة الإسلامية أثر وخطر، قال:

أنـتَ ابـنُ مُعـتَلِجِ البِطـا ... حِ كُـدَيِّها فكَـدائِها
فالبيـتِ ذي الأركـانِ فالـ ... ـمُستَنِّ مـن بَطحائِهـا
فمَحَـلِّ أعلاهـا إلـى ... عَرَفَاتِهـا فحِرائِهـا
مِـن سـرِّها فيهـا ومَعْـ ... ـدِنِ بِرِّهـا ووفائِهـا
أوفَـى قـريشٍ بـالعُلَى ... فـي حُكمِهـا وقضـائِها[2]

[1] – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 151– 152. أقبس: أوقد، طيبة والروحاء والأخشبان والحرم: مواضع.
[2] – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 117. المعتلج: الرمل المتراكم الداخل بعضه في بعض، البطاح: ج بطحاء، وبطحاء الوادي: مسيل الماء فيه حصى وتراب مما جرته السيول، البيت ذو الأركان: الكعبة، المستن: مخرج ماء الوادي، سرها: أصلها، المعدن: مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه.

وأمَّا الأحوص فقد جاء بحديثه عن موطنه واقترانه بأجمل الذكريات في نفسه في معرض التشبيه، فقال:

فكنـــتُ فـــيكُم كمَمْطـــورٍ ببلدَتِـــهِ فَسَـــرّ أنْ جَمَـــعَ الأوطـــانَ والمَطـــرا[1]

وأي شعور يعادل نشوة مَن ينعم بالإقامة في موطنه، ثمّ تجود عليه السماء بغيثها، فيجتمع له خير الأرض وخير السماء!

وعلى كثرة ذكر الأماكن في شعر نصيب، فإن الباحث لا يجد في شعره تحديدًا للموطن أو ذكرًا لبلد المحتد والانتماء، ولا عجب في ذاك وهو العبد الذي لم يعرَف أصله، ولا يعدو ذكر الأماكن في شعره أن يكون وقوفًا تقليديًا على الأطلال، وتعويضًا عن غياب ذكر الموطن بذكر الأماكن التي قابل فيها الشاعر من أحبّ، على نحو ما ألف الشعراء، كما في قوله:

أَبِـــالغَوْرِ أمْ بـــالجَلْسِ أمسَـــتْ وأينَمـــا تكُـــنْ دارُهـــا منّـــي فـــذكري لهـــا سُـــقْمُ
زبيريَّـــــة بـــــالجِزْعِ منهـــــا منـــــازلٌ وبـــالعَرْجِ مـــن أدنـــى منازلِهـــا رَسْـــمُ[2]

وربما ذكر الأماكن التي صادف فيها حسن الطالع بنوال أعطيات الممدوح.

إن المكان/الوطن يمثّل عند الشعراء الذين مرّ ذكرهم بقعة من الأرض يشعرون فيها بدفء الانتساب وعمق التواصل مع الأهل والعشيرة، إنه المكان الجماعي الذي يقابل المكان الفردي، "ويمكن النظر إلى هذا المكان بوصفه نظامًا اجتماعيًا اقتصاديًا عاطفيًا ينتظم العلاقات البشرية جميعها في هذه المجالات."3 ويكتسب هذا المكان دلالة وقيمة بفعل الإنسان الذي لا يكتفي بسدّ احتياجاته المعيشية بما يتوفر في المكان من أمور مادية، ولكنه يخلع عليه من مشاعره الفياضة ويضفي عليه من جمال ذكرياته ما يجعله عالمًا خاصًا يحمل في طياته منظومته القيمية والثقافية.[4]

[1]– ديوان الأحوص: ص: 163. مكان ممطور: أصابه المطر، أراد أنهم غمروه بعطائهم ونوالهم.
[2]– شعر نصيب: ص: 127– 128. الغور والجلس والجزع والعرج: مواضع.
[3]– مشكلة المكان الفني: لوتمان، ضمن (جماليات المكان/جماعة)، ص: 62.
[4]– المرجع السابق: ص: 65–66.

ب- المكان المعادي:

لم يقتصر الشعراء على ذكر الأماكن الأليفة والمحبوبة في أشعارهم، فقد كان لكل منهم تجربة مرّة ترتبط بالمكان، بشكل من الأشكال -كما هي حال البشر في كلّ زمان ومكان- وعبّر الشعراء عن تجاربهم تلك من خلال تصوير الأمكنة الموحشة، التي يصحّ أن تسمى (الأماكن المعادية) لما تخلقه في نفوس الشعراء من إحساس بالنفور والجفاء، ويتمثّل ذاك الإحساس في شعرهم على هيئة موقف معاد لتلك الأماكن، نافر منها وكاره لها.

إن الإنسان ينفر من المكان المعادي لافتقاده فيه الشعور بالأمان والسكينة، فهذا المكان موحش "يرتبط بالقفر والفراغ والبرودة، وهو مكان يوحي بذوبان الكيان وتلاشيه، فالإنسان يتيه فيه ويفقد نفسه."[1]

"ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتُصب، أو إذا حرمت منه الجماعة، ولذا فإنه يكتسب قيمة خاصّة ودلالة مأساوية بالنسبة إلى المستعمَرين واللاجئين."[2]

ظهرت هذه الأماكن المعادية عند الشعراء في أشكال عدّة، فكان القبر أحدها، وهو مقترن بموت الأحبة، وكان مكان الاغتراب شكلًا آخر من أشكال الأماكن المعادية، ظهر عند بعض الشعراء الذين عانوا مرارة البعد عن الوطن لأسباب لم تكن تسرّهم ولا تتبع إرادتهم في معظم الأحيان، ثمّ كانت أرض الأعداء شكلًا ثالثًا من أشكال المكان المعادي وجدناه عند بعض الشعراء الذين اختلفوا مع ذوي السلطة، فراحوا ينظرون إلى أرض الحكام وديارهم بوصفها أمكنة معادية.

القبر:

يظهر المكان الموحش/القبر في شعر الشعراء في مظاهر عدة، وعادة ما يكون ذلك في غرض الرثاء، ومن هنا فإنه مقترن بذكر المرثي عند الشاعر الراثي، ويبالغ بعض الشعراء في رسم صورة القبر، ليعبّروا من خلال تلك الصورة عن مكانة المرثي، وعن هول الخسارة بفقده، وهنا يكتسب القبر مسحة من جلال وهيبة، ويبدو -مع وحشته- حفرة غير عادية، امتلأت بالمكرمات التي دفنت مع صاحبها، فهي لذلك تفيض نورًا، إنها حفرة تجذب الشاعر لوصفها ورثاء صاحبها. قال ابن قيس الرقيات في رثاء عبد الواحد[3]:

---

[1]- المرجع نفسه: ص: 65.

[2]- جماليات المكان (جماعة): ص: 3.

[3]- جاء في ديوان ابن قيس الرقيات: عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب [بن وهبان]... من عامر بن لؤي. الديوان: ص: 79.

مـــا خيـــرُ عـــيشٍ بـــالجزيرةِ بعـــدما عَثَّـــرَ الزمـــانُ ومـــاتَ عبـــدُ الواحـــدِ
مـــاتَ النـــدى والجُـــودُ مَعْـــهُ وضُـــمِّنا قبـــرَ الكـــريمِ الأرْيَحـــيِّ الماجِـــدِ[1]

ويبيّن ابن قيس الرقيات في موضع آخر أن القبر ليس حفرة يرقد فيها بدن المتوفّى وحسب، وإنَّما هو مكان يضمّ ما اتصف به المرثي من مآثر ومكرمات، وهو لذلك مستقرّ لكل خير:

بسِجِسْـــــتانَ قَـــــدَّسَ اللهُ منـــــهُ قـد ثَـوى فـي الضـريحِ خيـرٌ كثيـر[2]

لم يعد القبر عند ابن قيس مكانًا موحشًا يقف عنده الشاعر ليبكي ويندب ويتحسّر، ولكنه أصبح مكانًا لذكر أهل الفضل وما كان من جميل معروفهم، والدعاء لهم، فلم يعد –والأمر كذلك– مكانًا معاديًا، بل اكتسب صفات إيجابية ليست لغيره من الأماكن التي تشبهه، ويبدو أن الصلة بين الشاعر والمرثي، وعمق العلاقة التي تربطهما، فضلًا عن شخصية الشاعر نفسه، أمور قد أثّرت كلها في رسم هذه الصورة، ومن الواضح أن الشاعر يؤبّن من كان يجود عليه في حياته بالخيرات، ومن كان يربطه به الودّ. فمن غير المستغرب – والحال كذلك – أن يقف الشاعر عند إبراز ما اختص به القبر من احتواء الفضل والندى والمآثر، وأن يرسم أطراف هذه الصورة بأناة، مع غياب الانفعال الشديد، وسيطرة العاطفة الهادئة والتصبّر.

ولا يفوت الشعراء أن يدعوا لقبور من يرثون بالسقيا، وهي "عادة درج عليها الجاهليون، وبقيت في الإسلام، وإن تغيرت الرؤية الفكرية لمفهوم السقيا،...، ويتراءى للمرء أن وراء عادة السقيا المستمرة لدى الجاهليين والإسلاميين ظاهرة الجفاف التي تلاحقهم في صحرائهم الغالبة على بلادهم."[3]

وها هو ذا نصيب يمضي على سنة الشعراء فيدعو للقبور بسقيا من الله وكأنه يستمطر معها الرحمة للمرثي:

ســـقى تلـــكَ المقـــابرَ ربُّ مُوســـى ســـجالَ المُـــزْنِ وَبْـــلًا ثـــم وَبْـــلا[4]

[1]– المصدر السابق: ص: 79. الأريحيّ: الذي يهتز للكرم، الماجد: الحسن الخلق السمح الكريم.
[2]– ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 17.
[3]– الرثاء في الجاهلية والإسلام: د. حسين جمعة، ص: 57–58.
[4]– شعر نصيب: ص: 122. السجال: ج سَجل، وهو الدلو الممتلئة ماء، وسجال المزن: مطر السحاب الغزير. الوبل: ضرب من المطر المتتابع، والوابل: المطر الشديد.

وإذا كانت القبور تبدو على هذا النحو في شعر بعض الشعراء الذين رثوا وأبّنوا، فإنها قد بدت في شعر شعراء آخرين على نحو آخر، وإن نظرة في شعر جميل ابن معمر تكفي لتكشف عن أن الشاعر ما عاد يقف على القبر نائحًا نادبًا، ولكنه صار يجد الموت راحة له من عذاب افتراقه عن محبوبته في الدنيا، لأنه يرجو أن يكون القبر مكان اجتماعه بمن أحبّ، أو راح يرجو أن يكون قبراهما بعد موتهما متجاورين، إن لم يقدّر لهما أن يجتمعا في قبر واحد، كما في قوله:

ألا ليتَنَا نَحيا جميعًا فإنْ نَمُتْ يُوافِ لدى الموتى ضريحي ضريحُها[1]

وها هو ذا يدعو ربّه أن يجعل قبره بجوار قبر حبيبته، فيصبح الموت –على هذه الصورة– مطلوبًا، ويغدو القبر مكانًا مرغوبًا فيه:

وجاوِرْ إذا ما مِتُّ بَيني وبَينها فيا حبَّذا مَوتي إذا جاوَرَتْ قَبري[2]

إن صورة المكان غير الأليف/القبر كما بدت في شعر الشعراء المدروسين بدت – على خلاف ما يتوقع المرء– صورة زاهية، أو هي صورة غير قاتمة، إذا ما توخّى المرء الدقّة، فالقبر في الأشعار التي دُرست تضمّن ألوانًا من المكارم والمآثر، وصار مكانًا للحبّ الذي افتقده المحبّ في الحياة.

<u>مكان الاغتراب:</u>

غادر بعض الشعراء أرضهم وموطنهم مكرَهين، لأسباب سياسية تارة، وسعيًا في طلب الرزق تارة أخرى، لكن أوطانهم ما غادرتهم، ولم يكن أولئك الشعراء راضين في الأحوال كلها عن إقامتهم بعيدًا عن مواطنهم، وشعروا في بلاد المغترب بضيق شديد، عبّروا عنه في أشعارهم، فبدا مكان الاغتراب موحشًا قاتمًا، يهان فيه المرء لبعده عن قومه، ويشعر برغبة شديدة في مغادرته إلى أرضه التي يألف ويحبّ. ولعلّ ابن قيس الرقيات خير من صوّر الضيق الذي رافقه عندما كان في العراق مغتربًا عن أرض الحجاز التي نشأ فيها فألفها وأحبّها: قائلًا:

أَتقعُدُ في تَكريْتَ لا في عَشيرةٍ شُهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ

فَدَعْ منزِلًا أصبحتَ فيهِ فإنَّهُ بهِ جِيَفٌ أَوْدَتْ بهنَّ حُروبُ[3]

---

[1]– ديوان جميل: ص: 51.

[2]– المصدر السابق: ص: 104.

[3]– ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 69. تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وفيها كانت وقعة بين عبيد الله بن الحرّ وأصحاب مصعب، جيف: ج جيفة وهي جثة الميت.

ما أقسى الشعور بالغربة المرّة التي تقتلع المرء من أرضه لترمي به في أرض بعيدة، لا ناصر له بها ولا أنيس! إنها الغربة التي أصابت الشاعر بالانشطار النفسي الذي تجلى في تجريد الشاعر من نفسه شخصًا يخاطبه، بل إنه يلومه ويعاتبه: (أتقعد، فدع منزلًا) لأنه ارتضى السكنى في أرض مشؤومة ليست أرضه، لكنها أرض احتراب وقتل وجثث.

وقال في موضع آخر مصرّحًا بما يشعر به من مهانة وضيق في مغتربه:

يـا سَـلْمَ نَـأْيُ الـديارِ عـن بلـدِ الـ ـــــوالِدِ ذُلٌّ ورُحْبُهـــا ضَـــيَقُ[1]

ويذكر الشاعر نصيب أرض مصر التي قصدها مغتربًا مبتغيًا نوال الأمير وعطاءه، فيرسم لها صورة بهية، ويبيّن أن فضل الأمير يغمر أرجاءها، وفضل الأمير –كما يقرر الشاعر– يعادل فيض كرم النيل العظيم الذي يجود على مصر بالهبات والخيرات:

فبَشِّـــرْ أهـــلَ مصـــرَ فقـــد أتـــاهُم مـــع النيـــلِ الـــذي فـــي مِصْـــرَ نِيْـــلُ[2]

وذكر نصيب في بعض شعره أنه غادر أهله إلى أرض مصر رغبة في حياة كريمة، إلا أن إيصاد أبواب الأمير بوجهه حرمه أمله، وقضى عليه وعلى أهله بالذّلّة والفاقة، ومع أن الأبيات لا تتضمن حديثًا بسوء عن أرض الغربة، إلَّا أنَّ الحنين الظاهر إلى الأهل، والرغبة في العودة إليهم بالأموال والخيرات، كشفا عن ضيق الشاعر بغربته، وعدّه إياها سبيلًا لكسب المال الذي يغني الأهل عند العودة إليهم، وحسب. قال:

ألا هلْ أتـى الصـقرَ ابـنَ مـروانَ أنّنـي على الباب حتى كادَتِ الشمسُ تغربُ
وأنّـــي إذا رُمْـــتُ الـــدخولَ تَرُدُّنـــي مهابـــةُ قـــيسٍ والرتـــاجُ المُضَـــبَّبُ
وأهلـــي بـــأرضٍ نـــازحون ومـــا لَهُـــم بهـــا كاســـبٌ غيـــري ولا مُتقلِّـــبُ[3]

[1]– المصدر السابق: ص: 72. الرحب: السَّعة، والضيق: نقيض السعة.

[2]– شعر نصيب: ص: 114.

[3]– شعر نصيب: ص: 62. الرتاج: الباب المغلق وعليه باب صغير، المضبّب: المغطّى، من التضبيب وهو تغطية الشيء ودخول بعضه في بعض، النازح: البعيد، متقلّب: بصير بتقليب الأمور وتصريفها.

وكانت للشاعر جميل تجربة مع الاغتراب، فقد ارتحل مرّات عن أرض الحجاز، وكان يحنّ إلى الأماكن التي جمعته ببثينة، ثم ابتعد راحلًا إلى مصر، فاشتدّ به الحنين إلى موطنه بالحجاز، وراح يتذكر عتاب بثينة له لمّا عقد نية السفر، وتمنى أن يعود به الزمان ليقضي ليلة في (وادي القرى)، ذلك المكان الذي جمعه يومًا ببثينة، فقضى معها فيه أجمل أيام حياته وأسعدها، قال:

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها ... وقد قرّبَتْ نِضوي: أَمصرَ تُريدُ
ألا قد أرى واللهِ أن رُبَّ عَبرةٍ ... إذا الدارُ شَطَّتْ بَيْنَنا ستَرودُ
ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بوادي القُرى إنّي إذن لَسعيدُ[1]

إن جميلًا لا يذكر أرض مصر بسوء، لكن إلقاء النظر على أوصاف موطنه في شعره، وتأمّل حديثه عن مشاعر السعادة التي كانت تحوطه فيه، يكشفان عن عمق الحزن الذي كان يحفر في قلبه بسبب اغترابه عن تلك الأرض وذاك الوطن، وانتقاله إلى العيش في مصر، مغتربه الجديد، وليس من الضرورة أن يذمّ الشاعر مكان الاغتراب، لكن كثرة ذكره لموطنه وحنينه الدائم إليه يكشفان –بلا ريب– عن ضيق شديد عاناه في أرض الغربة.

وفي مصر شعرَ جميل أن منيّته اقتربت، وأن الغربة ستحول بينه وبين لقاء بثينة، فأنشد شعرًا ذكر فيه أساه وحسرته، لأنه سيقضي نحبه في مصر بعيدًا عن أرضه، وعن ذكرياته في (وادي القرى)، وعن بثينة المحبوبة، قال:

بَكَرَ النَعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثَوَى بمصرَ ثواءَ غيرِ قَفُولِ
ولقد أَجُرُّ الذيلَ في وادي القُرى ... نَشوانَ بينَ مزارعٍ ونَخيلِ[2]

إن أرض مصر عند جميل أرض الغربة والموت والفناء، وأمّا موطنه (وادي القرى) فكان أرض عزّه وافتخاره، وفي تلك الأرض كان يختال منتشيًا بما كان يكتنفه من رغد العيش. ولا يذكر جميل أرض الغربة إلا ذكر أرض الوطن، فعقد بينهما مقارنة خفيّة تكشف عن عمق حنينه إلى الوطن، وضيقه الشديد ببلاد الغربة التي سيقضي فيها نحبه.

[1] ديوان جميل: ص: 62–63–65. مِ الأشياء: من الأشياء، استعملت في الشعر، النِضْو: الناقة المهزولة، شطّ: بعد، ترود: تذهب وتجيء يريد تحيّر ماء العين فيها، وادي القرى: موضع قرب المدينة كان يقيم فيه جميل وبثينة.

[2] ديوان جميل: ص: 184. بكر: أتى الشيءَ بُكرة أي غُدوة، النعيّ: الناعي الذي يأتي بخبر الموت، كنى: ستر، ثوى: أقام، غير قفول: غير راجع، جرّ الذيل: كناية عن التيه والتبختر.

لكن بلاد الاغتراب ليست في نظر الشعراء جميعهم بلاد مهانة ومذلة، وكم من شاعر اختار مفارقة موطنه طوعًا ليبتغي رزقًا من أصحاب العزّ والجاه، كما فعل الأحوص عندما غادر أرض الحجاز قاصدًا بلاط الأمويين في دمشق، طمعًا في عطاء الخليفة:

سأطلبُ بالشامِ الوليدَ فإنَّه هو البحرُ ذو التيّارِ لا يَتَعَضْعَضُ[1]

وهنا تغدو أرض الغربة أرضًا سخية بعطائها، ويشعر فيها الشاعر المغترب بعزّ المال ورفد السلطان، فيصبر ويسلو عن موطنه، ويجد في مال الخليفة تعويضًا مجزيًا عن غربته، وتقديرًا ثمينًا لمفارقة أرضه.

وكان عبيد الله بن قيس قد سافر إلى مصر مادحًا أميرها لبني أمية عبد العزيز ابن مروان، طامعًا في نواله وعطائه، فبدت أرض مصر في شعره ذاك أرضًا باهرة تفيض بالخير العميم، قال:

محلٌّ قد نَحُلَّ به لذيذٌ عَيْشُهُ غَدِقُ

يَحُلُّ به ابنُ ليلى والندى والحِلْمُ والصّدقُ[2]

إن أرض مصر مغترَب (طوعي) قصده ابن قيس راغبًا في مال وعطاء، متغاضيًا عن حبه الخالد لموطنه، ومتجاهلًا موقفه السياسي القديم تجاه الأمويين الذين عاثوا في الحجاز دمارًا وأباروا أهله قتلًا –كما كان الشاعر قد ذكر في همزيته الشهيرة– في سبيل اغتنام جوائزهم السنية، بعد أن وجد أن لا مفرّ من الانضواء تحت حكمهم وسلطانهم. وغدت أرض الغربة في قصيدته هذه أرض رغد وطيب عيش.

تبيّن مما أسلفت أن نظرة الشعراء إلى أرض الغربة قد تفاوتت، فمنهم من صرّح بكرهه إياها ونفوره منها، ومنهم من جعل مشاعر بغض الغربة تتوارى –وإن كانت لا تخفى– خلف ستار شفيف من شعر الحنين إلى الوطن، وقدّم بعضهم أطماعه في حاجات الدنيا على لبانات القلب وهواه، فآثر أموالًا يغتنمها في بلاد بعيدة، على إقامته في أرضه فقيرًا معوزًا، فحقق رجاءه حينًا، وخابت آماله أحيانًا.

[1]– ديوان الأحوص: ص: 170. الوليد: هو الوليد بن عبد الملك، لا يتعضعض: لا ينقص فهو جواد سخيّ على أي حال.

[2]– ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 159. ابن ليلى: عبد العزيز بن مروان أمير مصر لأخيه الخليفة عبد الملك بن مروان.

أرض العدو:

غادر بعض الشعراء أوطانهم مكرَهين، وحلّت بها بعدهم نائبة من نوائب الدهر، وذاك ما جعلهم أكثر تعلّقًا وتشبّثًا بأوطانهم من جهة، وأكثر بغضًا لبلاد اغترابهم، ولأرض إقامة خصمهم –على السواء– من جهة أخرى، وهذا أمر جليّ في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، الذي أبغض كلّ أرض غير أرض الحجاز، فكيف إذا كانت تلك الأرض أرض الشام التي مثّلت وقتذاك مكان الولاء المطلق لخصومه من بني أمية، فكان من البديهي أن يكرهها ويحقد على أهلها، بل إننا نجده في شعره يقيم مطابقة بين الإقليم وأهله، فـ(الشام) عنده تعني الأرض وأهلها، وبغضه يشملهما جميعًا، قال:

كيفَ نَومي على الفراشِ ولمّا ... يشمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْواءُ[1]

ومن أرض الشام تنطلق جيوش الأعداء فتوقع بأحبته، وتتركه يعاني في العراق آلامه وأحزانه:

فمن مُبلغٌ عنّي خليليَّ آيةً ... عُيَيْنَةَ أعني بالعراقِ ومالِكا

فَهَلْ مِن طبيبٍ بالعراقِ لعلَّهُ ... يُداوي كريمًا هالكًا متهالكا

فلولا جيوشُ الشأمِ كان شفاؤُهُ ... قريبًا ولكنّي أخافُ النيازِكا[2]

أصبحت أرض الشام في نظر ابن قيس أرضًا معادية لأن فيها القصر الأموي الحاكم، الذي فرض سلطانه بالسيف والذهب، فأصلت السيف حينًا على رقاب أهل الحجاز، قوم الشاعر ورهطه، وقتل منهم عددًا، فلا يستغرب – بعد ذلك – أن ينظر الشاعر إلى الشام ومَن بها نظرة الحقد والعداء، ولا عجب في أن يتمنى للشام وأهلها الهلاك والشتات، انتقامًا لما فعلوه بأهل الحجاز.

ولا عجبَ – بالمقابل – في ألا يوافقه غيره من الشعراء، وأن يروا في الشام غير ما كان يرى، وأخصّ أولئك الذين كان يفِدون على القصر الأموي ليمدحوا أهله وينالوا أعطياتهم وهباتهم، أمثال الشاعر الأحوص الذي "وقف شعره على بني أميّة لا يعدوهم،

---

[1]– ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص: 95. غارة شعواء: منتشرة متفرّقة.

[2]– المصدر السابق: ص: 130– 131. آية: رسالة، عيينة ومالك: ابنا أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري كانا غَزِلَين شاعرين، المتهالك: هو الهالك، ويعني بالكريم الهالك المتهالك نفسَه، النيازك: ج نيزك وهو الرمح القصير.

لا تقرأ له شعرًا ولا ترى عنه خبرًا يؤخذ منه أنه مدح أحدًا غيرهم، عظيمًا كان أو واليًا أو غير ذلك."[1] فما كان له – والحال كما بيّنت – سوى أن ينظر إلى أرض الشام بعين العرفان، واقتضى منه ذاك العرفان أن يحقد على أعداء الشام، ويكره كلّ أرض تناصب بني أميّة العداء ولا تدين لهم بالطاعة والولاء، وانصبّ كرهه على أرض العراق، فصوّر المعارك التي دارت بين جيش الشام وجيش العراق، مبيّنًا تفوق الأول وانتصاره، وضلال الآخر ومقتل أفراده وتناثر جثثهم في أرض العراق، قال:

رمَــى أهــلَ نَهْــرَي بابــلٍ إذْ أضــلَّهُم ... أزلُّ عُمــــانيٌّ بـــه الوَشْـــمُ راضِـــعُ
بتســـعينَ ألفًـــا كُلُّهُـــمْ حـــينَ يُبْتَلـــى ... جميـــعُ الســـلاحِ باســـلُ الـــنفسِ دارِعُ
مــنَ الشــامِ حتَّــى صــبَّحَتْهُم جُموعُــهُ ... بأرضِـــــهِمُ والمُقْرَبـــــاتُ النزائِـــــعُ
وكــمْ غــادَرَتْ أســيافُهُمْ مــن مُنــافقٍ ... يَمُـــجُّ دَمًـــا أَوْداجُـــهُ والأخـــادِعُ
فأَضْـــحَوا بنَهْـــرَي بابِـــلٍ ورؤوسُـــهُم ... تُجيـزُ بهـا البِيْـدَ المَطايـا الخَواضِـعُ[2]

إن الشاعر يرسم صورة المكان المعادي وفقًا للأحداث التي مرّت بحياته، فأثّرت في وسم علاقته بالسلطة الحاكمة ومكان استقرار الحكام وسلطانهم وإضفاء الطابع السلبي عليها، ولا يجتمع الشعراء على معاداة مكان واحد، فمنهم من كانت علاقته بالسلطة الحاكمة علاقة محكومة بالولاء والمنفعة، فما عادت أرض السلطان في نظرهم أرضًا معادية، ولكنْ أصبحت الأرض التي يجتمع فيها خصوم السلطة ومعارضوها أرض العدو، وتستحق –برأي الشاعر– الحرب والقتال.

[1]– ديوان الأحوص: ص: 50.

[2]– المصدر السابق: ص: 188–189–190. الأزل: الخفيف العجز ويوصف به الذئب المتولد بين الذئب والضبع، به الوشم: سبّ له، الراضع: اللئيم، والأحوص يشير هنا إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وكان قد خالف يزيد بن عبد الملك وخلعه فأرسل إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك فقتله سنة اثنتين ومئة ببابل قرب كربلاء. (ينظر: تاريخ الطبري: حوادث سنة 102هـ، ص: 590/6 وما بعدها)، جميع السلاح: مجتمع السلاح، الباسل: الشجاع، الدارع: عليه الدرع، المقربات: الخيل التي تدنى وتكرَم لنجابتها، النزائع: من الخيل التي نزعت إلى أعراق فهي كلها كريمة تنحدر من سلالة عريقة، يمجّ دماً: يرميه من فيه، الأوداج: ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح، الأخادع: هما في الحقيقة أخدعان وهما عرقان في جانبي العنق قد خفيا وبطنا، تجيز: تقطع، البيد: ج بيداء وهي الفلاة، الخواضع: المائلات العنق إلى الأرض، كأن المطايا تنوء بما حملت من رؤوس القتلى.

خاتمة:

تبيّن أن المكان كان حاضرًا بجلاء في شعر شعراء طبقة الإسلاميين السادسة، وما من شك في أن علاقة الشعراء بالمكان –كما هي حال علاقة الإنسان، أي إنسان بالمكان– علاقة معقدة، فثمّة أماكن أليفة، وأخرى معادية، ولم يكن للشعراء أن ينفصلوا عن تلك الأماكن في حياتهم، ولا أن يتجنّبوا ذكرها في شعرهم، فلم يكن ذكر المكان في الشعر ذكرًا عابرًا، أو تقليدًا فنيًا يخلو من أي قيمة. ولكنه كان تعبيرًا عن مشاعر متداخلة، مضطربة أحيانًا، وذكريات كثيرة يستردّها الشاعر عند ذكر المكان، سواء أكان ذلك المكان أليفًا أم معاديًا.

والملاحظ أن صور الأماكن –على تنوعها– لم تكن واحدة عند الشعراء، فقد جنح كل منهم إلى تصوير الأماكن التي ألف وأحبّ، أو الأماكن التي كره، وفقًا لتجربته الخاصة، ولما تركت تلك التجربة في نفسه من أثر أدى إلى تكوين موقف إيجابي تجاه المكان، أو موقف سلبي. وربما خالف الشعراء المألوف، فصوّروا بعض الأماكن في شعرهم بما يخالف المتوقَّع أو المعتاد، وبدا هذا الأمر –على نحو خاص– في الحديث عن بعض الأماكن المعادية، أو غير الأليفة على نحو أدقّ، فلم يكن القبر عند بعضهم مكانًا موحشًا معاديًا، ولكنه صار مكانًا مرغوبًا فيه لأنه قد يجمع حبيبين فرّقتهما الحياة، وكذلك كان الأمر في تصوير أرض الاغتراب، التي مثّلت لبعض الشعراء أرض الرزق الوفير والخير العميم، وكان هذا التصوير المخالف للمألوف ظاهرة جديدة تلفت الانتباه وتميّز شعر الشعراء الذين وردت عندهم، ولا بدّ هنا من التنبّه على الفوارق الفردية التي تميّز شاعرًا من غيره، بالنظر إلى طبيعة حياته، وموقفه من المكان – أليفًا كان أم معاديًا – وتجلّي ذلك في شعره.

إن كثرة ذكر الأماكن في شعر شعراء الطبقة السادسة، وتنوع تلك الأماكن، وتفاوت الشعراء في تقديرها، أمور تستدعي النظر، وتؤكد عمق رؤية ابن سلام الجمحي في تصنيف بعض طبقات الشعراء وفقًا لانتمائهم إلى بيئة مكانية واحدة، ليبيّن أهمية المكان في حياتهم بصورة عامة، وأثره في توجيه الذائقة الشعرية عندهم على نحو خاص.

المصادر والمراجع:

1. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي 1205 هـ، تحقيق: جماعة من المحققين، دار الهداية.
2. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري 310 هـ، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.
3. تاريخ الفكر الفلسفي؛ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون: د. محمد علي أبو ريان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
4. جماليات المكان (آليات التبدي المكاني في الشعر): د. سعد الدين كليب، www.startimes.com.
5. جماليات المكان: غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1404هـ/1984م.
6. ديوان الأحوص الأنصاري: جمعه وحققه: عادل جمال، قدّم له:ك د. شوقي ضيف، ط2، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، 1411هـ/1990م.
7. ديوان جميل (شعر الحبّ العذري): جمع وتحقيق وشرح: د. حسين نصّار، مكتبة مصر، 1977م.
8. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.
9. الرثاء في الشعر العربي ما بين الجاهلية والإسلام: د. حسين جمعة، طبعة جديدة، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2017م.
10. شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث؛ دراسة تحليلية: د. عزة حسن، مطبعة الترقي، دمشق، 1388هـ/ 1968م.
11. شعر نصيب بن رباح: جمع وتقديم: د. داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب، 1968م.
12. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي 231هـ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدّة، 1394هـ/1974م.
13. في نقد الشعر (الكلمة والمجهر): أحمد درويش، ط1، دار الشروق، 1996م.

14. كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني 816هـ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1403هـ/1983م.
15. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي 1094هـ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
16. لسان العرب: ابن منظور الإفريقي 711 هـ، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
17. مشكلة المكان الفني: يوري لوتمان، ترجمة: سيزا قاسم دراز، ضمن (جماليات المكان: جماعة من الباحثين)، ط2، الناشر: عيون المقالات، باندونغ، الدار البيضاء، دار قرطبة، 1983م.
18. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.
19. المكان في الشعر الجاهلي: عابد أمل مفرج، جامعة مؤتة، الأردن، 1994م.
20. المكان في ذاكرة الشاعر الجاهلي: كاتب أمين، شبكة الألوكة، 1437هـ/2015م، www.alukah.net
21. المكان في شعر ابن زيدون: رسالة لنيل درجة الماجستير، إعداد الطالبة ساهرة عليوي حسين العامري، بإشراف د. هناء جواد عبد السادة، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، 1429هـ/2008م.
22. موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.
23. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي (بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط1، مكتبة لبنان/ناشرون، بيروت، 1996م.
24. الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي: د. وهيب طنوس، ط1، 1975–1976م.